

المحاضرة 05 : أهمية اللغة في التفاعل ودورها في التنشئة الاجتماعية : أثر الفرد في التطور اللغوي

التنشئة الاجتماعية

تمهيد:

إن المجتمع الواعي هو الذي يضع نصب عينه قبل اهتماماته بالإنجازات والمشاريع المادية الفرد كأساس لازدهاره وتقدمه الاجتماعي. وحتى يكون هذا الفرد عضوا بارزا في تحقيق التقدم الاجتماعي لا بد الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية ، التي اهتمت بها الدراسات النفسية والاجتماعية اهتماما بالغا شكلا ومضمونا ، وهذا لأهميتها في تشكيل شخصية الفرد الصالح ، فالتنشئة إذا من أدق العمليات وأخطرها شأنًا في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي تركز عليها مقومات الشخصية. فهي لا تقتصر على مرحلة عمرية محددة وإنما تملك من الطفولة ، فالمرحلة ، فالرشد وصولًا إلى الشيخوخة ولهذا فهي صلبة حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها. فإنا ترى ماهو مفهوم التنشئة؟.

- تعريف مفهوم التنشئة الاجتماعية :

التنشئة لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور التنشئة من الفعل نشأ ، ينشأ نشوءًا ونشأ بمعنى ربي وشب¹ ، كما يعرف قاموس علم الاجتماع التنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التي يتعلم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه هذه الجماعة"² ، أما معجم علم النفس والطب النفسي ، فإنه يعرف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة والمهارات الاجتماعية التي تمكنه من أن يتكامل مع المجتمع ويسلك سلوكًا تكيفيًا فيه ، وهي أيضا عملية اكتساب الفرد للأدوار والسلوك والاتجاهات التي يتوقع منه في المجتمع³ .

أما اصطلاحًا فالتنشئة الاجتماعية: هي عملية تحويل الفرد من كان بيولوجي إلى فرد اجتماعي عن طريق التفاعل الاجتماعي ، ليكتسب بذلك سلوكًا ومعايير وقيم واتجاهات تدخل في بناء شخصيته لتسهيل له الاندماج في الحياة الاجتماعية وهي بذلك مستمرة تبدأ بالطفولة . فالمرحلة فالرشد وتنتهي بالشيخوخة وتشتمل على كافة الأساليب التنشئة التي تلعب دورًا مهمًا في بناء شخصية الفرد أو اختلالها من جميع الجوانب النفسية والاجتماعية.

¹ لسان العرب: ابن منظور، مادة (نشأ).

² قاموس علم الاجتماع: محمد عاطف عيث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1979، ص449.

³ معجم علم النفس والطب النفسي: جابر عبد الحميد، علاء الدين كفاي ، دار النهضة، القاهرة ، 1995، ج7، ص360

إن التنشئة الاجتماعية بهذا المفهوم إذا تعتبر عملية جوهرية في حياة البشر فهي عملية تفاعل تتم بين الفرد بما لديه من استعدادات وراثية وبيئته الاجتماعية ليتم النمو التدريجي لشخصيته من جهة واندماجه في المجتمع من جهة أخرى ضمن إطار ثقافي يؤمن به ويتمسك بمحتواه، حيث كلما ارتقى القررة وتقدمت وسائل الحضارة لدية احتاج لتنشئة أكثر، وهي أساسية لأنها لا تنتهي بانتهاء مرحلة الطفولة فحسب، بل هي مستمرة إلى غاية الشيخوخة، كما أنها تشتمل على كافة الأساليب التي من شأنها أن تعمل أو لا تعمل على بناء الشخصية الفرد⁴.

مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

عن طريق الوسائل أو المؤسسات تتم التنشئة الاجتماعية ، فالطفل الذي يولد في أسرة تعد الجماعة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته التي تسمى محل لغة الأم ، وعاداته وتقاليده وقيمه . عن طريق هذه الأسرة بين أحضان الأم تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية فيتعلق بأمه ثم تتدرج به الحياة فيتعلق بأبيه وإخوته وذويه ثم يستقل إلى حد ما عن أسرته لينتظم في مدرسته ، وتتطور تنشئته الاجتماعية من البيت إلى المجتمع عن طريق تلك المدرسة وما تهيئه للطفل من جماعات أخرى تسير به قدما في مدارج تلك التنشئة.

1/ الأسرة: والتي تعتبر أصغر خلية من المجتمع والممثلة الأولى للثقافة، فيها يبدأ الفرد حياته و يعيش مراحل طفولته الأولى. وترتبط بالأسرة عوامل كثيرة لها دور حاسم في تحديد نمط التنشئة الاجتماعية، ومنها نوع العلاقات داخل الأسرة: كعلاقة الأبوين فيما بينهما (انسجام، صراع، طلاق، نفور...) و علاقة الإخوة فيما بينهم (نفور، أخوية، عدوانية، كره...) وعلاقة الوالدين بالإخوة (استبداد، قسوة، حب، تفهم...) و كذا علاقة الأسرة بالعالم الخارجي، إضافة إلى عوامل أخرى كالنمط الثقافي والعربي السائد داخل الأسرة (التقاليد والطقوس...).

2/ المدرسة: تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الأسرة للقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال . والأجيال الشابة . فالطفل يخرج من مجتمع صغير ومتجانس نوعا ما وهو الأسرة إلى مجتمع كبير أقل تجانساً وهو المدرسة. حيث تقوم المدرسة بإعداد الأجيال الجديدة روحيا ومعرفها وسلوكها وبدنيا وأخلاقيا ومهنيا ، وذلك من أجل أن تحقق للأفراد اكتساب عضوية الجماعة والمساهمة في نشاطات الحياة الاجتماعية المختلفة.. والمدرسة ليست مصدرا للعلم والمعرفة فقط، بل هي مؤسسة تعمل على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية ومن بين هذه المهام التي تقوم بها يمكن أن تذكر على سبيل المثال، وليس الحصر جملة من الوظائف أبرزها : تحقيق التربية الفنية، والتي تتمثل في الموسيقى والرسم والأنشطة الفنية الأخرى ، ثم التربية البدنية والتربية الأخلاقية والروحية، والتربية الاجتماعية، وتحقيق النمو المعرفي وأخيراً التربية المهنية .

ولتنجح المدرسة في دورها وظيفتها التربوية الاجتماعية، لا بد أن تركز العملية التعليمية على أسس ينبغي إيلاؤها الأهمية التي تستحقها، و من هذه الأسس:

⁴ سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عبد الرحمن العيسوي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1985م.

—احتياجات المتعلم.

—الأهداف التعليمية.

—الطرق التعليمية وأساليب التنشيط وقيادة الفصل الدراسي.

—المعلم.

—الإمكانيات المادية، الوسائل، الأدوات...

3 دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية:

ومن أهمها الوسائل السمعية البصرية، كالإذاعة والتلفزيون والأفلام السينمائية والكتب والمجلات... التي تعتبر من وسائل الإعلام المباشر المؤثرة في نفسية الأطفال بسبب انتشارها الواسع أكثر من غيرها ، ولقد تعددت الأبحاث التي تحاول اكتشاف أثر وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية ، و دلت نتائج أغلب الأبحاث الحديثة على أن الأطفال يقلدون ما يشاهدون من عنف و عدوان في القصص السينمائية والتلفزيونية وأن مواقف القلق التي تعتمد عليها أحيانا بعض تلك القصص في جلب الانتباه تثير في نفوس الأطفال أنواعا غريبة من القلق قد يتطور بعضها إلى القلق العصبي المرضي.

ومن الآثار الواضحة لوسائل الإعلام على التنشئة الاجتماعية للأطفال إشاعة سلوك اللامبالاة وتشويهها للقيم التي نعتمد عليها في تربية جيل المستقبل إذ كثيرا ما نشاهد أبطال القصص السينمائية والتلفزيونية يحتسون الخمر ويدرمنون الشراب في مواجهتهم للمواقف العصبية التي تمر بها أحداث القصة أو يعتدون على غيرهم أو يقتلون آخرين . وتلك نماذج شريرة وخطيرة نقدمها للناشئة في مواقف العاطفة المتأججة والشهوات المنطلقة من عقالها التي تبعث بكل ما يواجهها من قيم ومعايير وتقاليدها .

هذا ولا شك إنه إذا أحسن توجيه وسائل الإعلام فإنها تستطيع أن تصبح أداة فعالة قوية في إرساء القواعد الخلقية والدينة في مجتمع فاضل وتستطيع أيضا هذه الوسائل أن تسمو بالعقل لتخرج أحسن ما به من تفكير وابتكار وخيال خصب منتج⁵.

4/ جماعة الأقران :

تشكل جماعة الأقران النافذة الأولى التي يطل منها الطفل على الحياة الاجتماعية ، وذلك بما تحققه للطفل من علاقات اجتماعية قائمة ، على خلاف ما يجري في إطار الأسرة .

و جماعة الأقران هم جماعة من الأفراد يلتقون في الميول والدوافع والطموحات والحاجات والاهتمامات الاجتماعية ويقومون بأدوار اجتماعية معينة سواء كانت هذه الأدوار آنية أو دائمة وكل ذلك بشكل متعارف عليه تلقائية في غالب الأحيان .

⁵ سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عبد الرحمن العيسوي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1985م.

إن دور جماعة الأقران مهم في عملية التنشئة الاجتماعية حيث يتمحور في تكوين معايير اجتماعية جديدة وتنمية اتجاهات نفسية جديدة للمساعدة في تحقيق الاستقلال ، وإتاحة الفرصة للتجريب ، وإشباع حاجات الفرد للمكانة والانتماء ، علاوة على أن الأقران يؤثرون في بعضهم البعض بشكل كبير ، وذلك لما تتميز به جماعة الأقران عن الجماعات الأخرى من خصائص أساسية تزيد من تأثيرها وهي :

- التجانس العمري (أعضاء هذه الجماعة من فئة عمرية واحدة) .
- تشكل هذه الجماعة على أساس الجنس الواحد (ذكور أو إناث) .
- التفاعل بين الأعضاء بشكل مباشر ، وجها لوجه .
- تعد جماعات صغيرة (يتميز عدد أفرادها بالمحدودية) .
- تتكون على نحو عضوي ، بحكم عدة عوامل وهي: الجوار ، السكن ، الانتماء المدرسي . م)

5/ المسجد :

هدفه الأول توحيد السلوك الاجتماعي و تنمية الصغار، عبر العمل على تعليم الفرد والجماعة المعايير والتعاليم الدينية نحو إطار سلوكي معياري موحد.

4- خصائص التنشئة الاجتماعية:

1. عملية تربية عامة : التنشئة الاجتماعية عملية لا تخص مجتمع معين دون غيره من المجتمعات الأخرى وتهتم بالبيئات جميعها الأسرة والمدرسة وفي المؤسسات التعليمية وأماكن العمل أيضاً، ولا يمكن فصل أي مؤسسة اجتماعية عن عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد.
2. التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة : حيث تستمر التنشئة مدى الحياة وترافق الإنسان وتجعله في هيئة مستمرة لتقبل المواقف الجديدة والحركة الاجتماعية بما يتناسب مع معرفته السابقة وتربيته الاجتماعية، كما تلعب الدور الأساسي في مكافحة الآفات الاجتماعية والظواهر غير المرغوبة.
3. عملية اجتماعية وإنسانية : تهتم التنشئة الاجتماعية بالإنسان فقط وتوليه اهتماماً بشكل فردي، وتقوم بإبراز الصفة الإنسانية الاجتماعية لديه والتي تكون غير واضحة مسبقاً إذ تنمو وتكبر مع مواجهة الحياة والتفاعل مع الآخرين بما فيه من صعوبات وعقبات.
4. عملية اجتماعية ونفسية : على الرغم من أن التنشئة الاجتماعية عملية تربوية وتعليمية هدفها دعم التفاعل مع المحيط، إلا أنها تهتم بالنمو النفسي للطفل والحفاظ على صحته النفسية والأخلاقية من الانحراف أو اتباع السلوكيات الخاطئة.
5. عملية تفاعلية : حيث تعتبر التنشئة الاجتماعية علاقة تفاعلية بين الإنسان والمحيط الاجتماعي وعلاقة تأثير وتأثر، لتكوين شخصية نهائية مستقلة.